الإعجاز بالصرفة وأوجه فساده في ضوء القرآن الكريم

دكتـــور/ صديـــق أحمد مالك

الأستاذ المشارك بكلية الدعوة وأصول الدين

جامعة أم القرى — مكة المكرمة

مستخلص الدراسة

هدفت الدراسة لبيان أوجه فساد القول بالصرفة بصورة عامـــة، وبيـــان أوجه الفساد من خلال القرآن الكريم بصورة خاصة، والقول بالصرفة هو الذي قال به المعتزلة ونشأ وترعرع في بيئتهم التي تمجد العقل وترفع من مكانتـــه، وقد قسمت الدراسة إلى مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة وجاءت على النحو الآتي:

المبحث الأول: مفهوم الصرفة والقائلون بها.

المبحث الثاني: خطورة القول بالصرفة وأوجه فساده.

المبحث الثالث: دراسة للآيات التي تدل على فساد القول به فـــي القـــرآن الكريم.

أما الخاتمة فقد تضمنت نتائج الدراسة التي توصل لها الباحث.

وأخيراً جاءت هذه الدراسة لتوضيح مفهوم الصرفة وبيان أوجه فساده في ضوء القرآن الكريم.

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

الإعجاز بالصرفة وأوجه فساده في القرآن الكريم

المقدمة:

من المعلوم أن إعجاز القرآن الكريم يتمثل في وجوه لا حصر لها، وهي فوق طاقة البشر وقدراتهم الخاصة، واشتمال القرآن الكريم على المعارف والأصول والعلوم المختلفة، والإخبار بالمغيبات في الماضي، والمستقبل، والفصاحة والبلاغة التي أعيت الفصحاء، وأخرصت الخطباء، وأبهرت الأدباء،وهي أهمُ ما يميز إعجاز القرآن الكريم، لأجل ذلك كان من المستحيل على النَّاس أن يأتوا بمثل هذا القرآن، لعدم قدرتهم على ذلك، ولم يكن وجه الإعجاز مجرد الفصاحة والبلاغة التي هي سمة القرآن الكريم ليقال: إنَّ الله صرفهم ومنعهم من الإتيان بمثل هذا القرآن، بل إعجاز القرآن الكريم من وجوه متعددةٍ. ونواحي مختلفة، يستحيل عادةً الإتيان بمثل هذا القرآن، بل من وجوه إعجاز القرآن الكريم، أنَّ الذي جاء به من قبل الله عز وجل هو أمي، لا يعرف القراءة ولا الكتابة، ولم يتعلم العلوم ومع ذلك جاء القرآن الذي هو مصدر كل العلوم والمعارف العالية، والمطالب السامية، والقيم والأخلاق النبيلة، وهذا أعظم دليل على أنَّ القرآن الكريم وحي من الله تعالى، أنزلّه على محمد صلى الله عليه وسلم، ومن يطلب دليلاً أكثر من ذلك، فمثاله كمن يطلب الدليل على وضوح الشمس في رابعة النهار، وكما قيل:

فلا يصح في الأذهان شيء   إذا احتاجت الشمس إلى دليل

وهم قد فشلوا فشلاً ذريعاً ، في أن يأتوا ولو بسورةٍ واحدةٍ مثل القرآن الكريم، وليس السبب أنهم صُرفوا عن ذلك، وإنَّما الذي أعجزهم مزايا ظهرت لهم في نظمه، وخصائص صادفوها في سياق لفظه، وبدائع راعتهم من مبادئ آيه، وبهرهم أنَّهم تأملوه سورة سورة، وعشراً عشراً، وآية آية، فلم يجدوا في

الجميع كلمة ينبوا بها مكانها، ولفظة ينكر شأنها، أو يرى أنَّ غيرها أصلح منها، بل وجدوا اتساقاً يبهر العقول وأعجز الجمهور، ونظاماً والتئاماً، وإتقاناً وإحكاماً.

وكما يقولون في الأمثال:" رب ضارة نافعة" فقد أحدث القول بالصرفة ردود فعلٍ واسعةٍ في الأوساط العلمية، وكان طرح هذه القضية خيراً على البلاغة العربية، إذ انبرى العلماء لهذا القول، وأظهروا فساده نقلاً وعقلاً، ودفعهم إلى البحث عن الوجه الحقيقي لإعجاز القرآن الكريم.

وهكذا كان القائلون بالصرفة آفتهم من الفهم السقيم، لأنَّهم ضلوا وأضلوا عن سواء السبيل،حيث نظروا للقرآن الكريم بأنظار معلولة، وأفهامٍ مكلولة، ونظر مدخول.

أسباب اختيار الموضوع:

توسعة المدارك والعقول، وتحريك الهمم للنظر والتدبر في آيات الله تعالى المباركة، بما يحقق زيادة الإيمان والعمل والعلم والانتفاع بالقرآن الكريم.

البحث في إعجاز القرآن من الأمور المهمة بمكان، وهو أهم ما يجب على الباحثين بحثه، قال الباقلاني رحمه الله: (من أهم ما يجب على أهل الدين كشفه، وأولى ما يلزمهم بحثه، ما كان لأصل دينهم قواماً، ولقاعدة توحيدهم عماداً ونظاماً، وعلى صدق نبيهم برهاناً، ولمعجزته ثبتاً وحجة، لا سيما والجهل ممدود الرواق، شديد النفاق، مستولٍ على الآفاق، والعلم على عفاء ودروس، وعلى خفاء وطموس) (١).

(١) إعجاز القرآن، الباقلاني، ص٤.

المساهمة في المكتبة الإسلامية بهذه الدراسة المتواضعة، ونيـل شـرف الدفاع عن كتاب الله من هذا الفهم السقيم، والرأي العقـيم، وتأكيـد أنّ إعجـاز القرآن الكريم في نظمه،وأسلوبه،وبيانه، وأنّه لا نهاية لهذه الوجوه، وهي متجددة يوماً بعد يوم. وما أحسنَ القائل:

جاء النبيـون بالآيـات فانصـرمت وجئتنا بحكـيم غيـر منصـرم

آياتـه كلمّـا طـال المـدى جـددٌ يزينهنّ جمـال العتـق والقـدم

الوقوف على فصاحة القرآن، وبلاغته العالية، وأحكامه السامية، والتـي تُمتلك لها القلوب، وتسمو بها النفوس، فهي التي انبهر لها العلمـاء وأقـرَّ بهـا العقلاء.

منهج الدراسة:

سيتبع الباحث المنهج التحليلي، وفق الخطوات الآتية:

كتابة الآيات القرآنية بالرسم العثماني، وعزوها إلى سورها.

وضعت علامات الترقيم في مواقعها المناسبة، حتى تُعينُ القارئ على فهم النص.

خرجت الأحاديث من مصادرها الأصلية، فإن كان الحديث في الصحيحين أو في أحدهما لم أحكم عليه غالباً.

لم أترجم للأعلام المذكورين في ثنايا البحث، مراعاة للإيجاز الذي يناسب مثل هذه البحوث.

خطة البحث:

وقد قسمت الدراسة إلى مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة وجاءت على النحو الآتي:

المقدمة: عرضتُ فيها سبب الدراسة ومنهجها.

المبحث الأول: "مفهوم الصرفة والقائلون بها":

المطلب الأول: الصرفة في اللغة.

المطلب الثاني: الصرفة في الاصطلاح.

المطلب الثالث: القائلون بالصرفة ومنشأ قولهم.

المبحث الثاني: "خطورة القول بالصرفة وأوجه فساده".

المطلب الأول: خطورة القول بالصرفة.

المطلب الثاني: أوجه فساده.

المبحث الثالث: " دراسة للآيات التي تدل على فساد القول بالصرفة في القرآن الكريم".

الخاتمة: وفيها إبراز لنتائج الدراسة.

وأخيراً اسأل الله تعالى أن تكون هذه الدراسة موضحة لمعنى الصرفة، ووافية في بيان فساد هذا القول، ولا شك أنّه يعتريها بعض جوانب الخلل والقصور، وحسبي قول القائل:

إن تجد عيباً فلا تعجل بلومك لي ... إنني امرؤ غير معصوم من الزلل

وصلى الله على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم في الأولين وفي الآخرين وفي الملأ الأعلى يوم الدين.

المبحث الأول: "مفهوم الصرفة والقائلون بها "

المطلب الأول: الصرفة في اللغة:

الصرفة لغة: على وزن فَعْلَة – بفتح الفاء واللام وسكون العين، وهي تعني: رد الشئ عن وجهه، يقال: صرفه يصرفه صرفاً، وصارف نفسه عن الشيء: صرفها عنه كما قال تعالى: {ثمَّ انصرفوا} أي رجعوا عن المكان الذي استمعوا منه، وقيل انصرفوا عن العمل بشيء ممَّا سمعوا.

أما قوله تعالى{ صرف الله قلوبهم} أي: أضلهم الله مجازاة على فعلهم، وصرفت الرجل عنِّي فانصرف"[١].

ومنه تصريف الرياح، وهو صرفها من جهة إلى جهة، ولهذه المادة معان كثيرة في كتب اللغة أشار لها ابن فارس بقوله: (الصاد والراء والفاء معظم بابه يدل على رجع الشيء، ومن ذلك صرفت القوم صرفاً، وانصرفوا إذا رجعتم فرجعوا) [٢].

وتدور معانيها عند أهل الصرفة، على رد العزيمة والهمم، قال الخليل ابن أحمد: (الصَّرْفُ: أن تصرف إنساناً على وجهٍ يريده إلى مَصْرِفٍ غير ذلك) [٣].

وبهذا يظهر أنَّ الصرْفَه أو الصرف في اللغة تعني: أن تصرف إنساناً عن وجه يريده إلى مصرف غير ذلك، وفي القرآن الكريم جاءت بهذا المعنى في كثير من الآيات، ولكنَّها تشير إلى صرفة أخرى غير التي عناها علماء المعتزلة، ومن هذه الآيات قوله تعالى: ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ

(١) لسان العرب، ابن منظور، ج٩، ص ١٨٩،مادة صرف.

(٢) مقاييس اللغة، ابن فارس، ج٣، ص٢٤٢.

(٣) العين، الخليل بن أحمد، ج٧، ص١١٠.

﴿بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ [الأعراف:١٤٦]، ومنها أيضاً قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ﴾ [غافر:٦٩].

قال ابن كثير في تفسيره لقوله تعالى:{سأصرف عن آياتي}: (أي: سأمنع فهم الحجج والأدلة على عظمتي وشريعتي وأحكامي، قلوب المتكبرين عن طاعتي، ويتكبرون على النّاس بغير حق، أي كما استكبروا بغير حق أذلهم الله بالجهل) [١].

وقال سفيان بن عُيينة: (أنزع عنهم فهم القرآن، وأصرفهم عن آياتي) [٢].

ومن خلال تفسير السلف الصالح لهذه الآيات، يظهر أنَّ الصرفة فيها بمعنى المنع عن الفهم، وليس الصرفة عن معارضة القرآن كما يزعم المعتزلة.

المطلب الثاني: الصرفة في الاصطلاح:

تدور معظم تعاريف الصرفة في معناها الاصطلاحي في هذا المعنى: صرف الله همم العرب عن معارضة القرآن .

قال السيوطي في معنى الصرفة: (أنَّ الله صرف همم العرب عن معارضة القرآن، وكان في مقدورهم، لكن عاقهم عنها أمر خارجي، فصار معجزة كسائر المعجزات، ولو لم يصرفهم لجاءوا بمثله) [٣].

وحكى السيوطي تعريف النظام بقوله: (ثمَّ زعم النظام أنَّ إعجازه بالصرفة: أي أنَّ الله صرف العرب عن معارضته وسلب عقولهم، وكان مقدوراً لهم، ولكن عاقهم أمر خارجي) [٤]. وقال أبو سليمان الخطابي في تعريفها:

---

(١) تفسير ابن كثير، ابن كثير، ج٣، ص٤٧٥.

(٢) تفسير ابن كثير، ج٣، ص٤٧٥.

(٣) انظر الإتقان، السيوطي، ج٢، ص٣٢٨.

(٤) انظر الإتقان، السيوطي، ج٢، ص٣٢٨.

(صرف الهمم عن معارضته، وإن كانت مقدوراً عليها، وغير مُعجَّزة عنها، إلا أنَّ العائق من حيث كان أمراً خارجاً عن مجاري العادات، صار كسائر المعجزات) [١].

وعرَّفها الشريف المرتضى: (سلب الله تعالى كلَّ من رام المعارضة وفكَّر في تكلفها في الحال العلوم التي يتأتى معها مثل الفصاحة أي فصاحة القرآن وطريقته في النظم) [٢].

وقد اختلف القائلون بالصرفة في بيان حقيقة ما يقصده هؤلاء بالصرفة فقالوا: إنَّ الله سبحانه وتعالى لأجل إثبات التحدي، حال بين فصحاء العرب وبلغائهم، وبين الإتيان بمثل القرآن بأحد الأمور الثلاثة الآتية:

١ – صرف دواعيهم وهممهم عن القيام بالمعارضة، فكلمَّا هموا بها وجدوا في أنفسهم صارفاً ودافعاً يصرفهم عن منازلته ، ولم يكن ذلك لعدم قدرتهم عن الانصياع لهذا الأمر، بل إنَّ المقتضى فيهم كان تاماً، غير أنَّ الدواعي والهمم صارت مصروفة عن الالتفات لهذا الأمر، ولولا ذلك لأتوا بمثله.

٢ – سلبهم الله سبحانه وتعالى العلوم التي كانت العرب مالكة لها ومتجهزة بها، وكانت كافية للإتيان بما يشاكل ويشابه القرآن الكريم في فصاحته وبلاغته وفي نظمه وأسلوبه، ولولا هذا السلب لأتوا بمثله.

٣ – أنَّهم كانوا قادرين على المعارضة، ومجهزين بالعلوم اللازمة لها، ولكنَّ الله عزَّ وجل منعهم بالإلجاء على جهة القسر من المعارضة، مع كونهم قادرين على الإتيان بمثله.

(١) بيان إعجاز القرآن، الخطابي، ص٢٢.

(٢) الموضح عن جهة إعجاز القرآن، الشريف المرتضى، ص٣٦.

ومما سبق يظهر أنَّ الصرف والمنع عند المعتزلة يتمثل في :

١ – في سلب الهمة عن المعارضة مع قدرتهم،وكمال عقلهم.

٢ – في سلب القدرة على المعارضة مع بقاء الهمة والرغبة في المعارضة.

٣ – في سلب العلم الذي به تتحقق المعارضة.

وسوف نفصل القول في هذه الأمور الثلاثة في المطلب القادم إن شاء الله تعالى.

المطلب الثالث: القائلون بالصرفة ومنشأ قولهم:

أولاً: القائلون بالصرفة:

من خلال حديثنا السابق يظهر أنَّ القول بإعجاز القرآن بالصرفة، هو قول علماء المعتزلة، وهم الذين تبنوه ودافعوا عنه، والذي يظهر أنَّ المعتزلة على درجات متفاوتة في فهمهم لمفهوم الصرفة، وقد نسب القول به إلى عدد من المتقدمين، فقد نسب لواصل بن عطاء مؤسس فرقة المعتزلة، وكذلك نسب لإبراهيم بن سيار النظام المعتزلي، ولعباد بن سليمان ولهشام الغوطي، وللشريف المرتضى.

جاء في كتاب القول بالصرفة في إعجاز القرآن: (أمَّا نسبته لواصل بن عطاء فلم أقف على دليل لذلك، وأمَّا نسبته لابن حزم الظاهري، فهو المفهوم من كلامه في كتابه: (الفصل في الملل والنِّحل)، حيث تحدث عنها في موضعين من كتابه، وكلامه فيها مضطرب، فهو يقول بها مرة ويقول بغيرها أخرى) (١).

أمَّا ابن سنان الخفاجي، فهو مقلد للشريف المرتضى فيما ذهب إليه لكونه تلميذه، ولمطابقة كلامه لكلامه، ولذلك قد يكون مختصراً وملخصاً لكتاب شيخه

---

(١) انظر القول بالصرفة في إعجاز القرآن الكريم، عبد الرحمن الشهري، ص٥٦، وبتصرف.

الشريف المرتضى فحسب[١].

وهؤلاء العلماء من المعتزلة الذين قالوا بالصرفة، منهم من يرى أنَّ الله صرفهم عن الإتيان بمثل القرآن، مع قدرتهم على أن يأتوا بمثله، لولا وجود هذا المانع وهذا الفريق يمثله إبراهيم بن سيار النظا، ومنهم من يرى أنَّ الله صرفهم عن الإتيان بمثله مع عدم قدرتهم على المعارضة،وهذا الفريق يمثله الجاحظ وهو تلميذ النظام، أمّا الفريق الثالث الذي يمثله ابن سنان الخفاجي، فهو يرى أنَّ الله سلب العلوم التي تمكن صاحبها وتعينه على المعارضة.

وهكذا بدأت فكرة الصرفة عند المعتزلة كفكرة عابرة، وتطورت تطوراً خطيراً إلى أن تبلورت في سلب كافة العلوم.

وهكذا نجد هذا القول الشاذ والنشاز في أوساط فئة محدودة من علماء المعتزلة، فقد نشأ هذا القول وترعرع في فكر فئة تمجد العقل أيّما تمجيد، لذلك نجدهم قد استدلوا بأدلة عقلية، ومنها أنَّ هذا القرآن نزل بلغة العرب بمفرداتها، وأبنيتها وألفاظها وأساليبها ولم يخرج عن المعهود والمألوف من كلامهم، والعرب قد بلغوا أعلى درجات الفصاحة والبلاغة فكيف يعجزوا لولا أنهم صرفوا، وقد أورد صاحب كتاب النبأ العظيم رداً بليغاً على هذا الدليل: (فإنْ قال: قد تبينتُ الآن أن سكوت النَّاس عن معارضة القرآن كان عجزاً، وأنَّهم وجدوا في طبيعة القرآن سراً من أسرار الإعجاز يسمو به عن قدرتهم، ولكنَّي لستُ أفهم أنَّ ناحيته اللغوية يمكن أن تكون من مظان هذا السر، لأنَّي أقرأ القرآن فلا أجده يخرج عن معهود العرب في لغتهم العربية، فمن حروفهم ركّبت كلماته، ومن كلماتهم أُلِّفت جمله وآياته، وعلى مناهجهم في التأليف جاء تأليفه، فأي جديد من مفردات القرآن لم تعرفه العرب من موادها وأبنيتها؟ وأي جديد

---

(١) المرجع السابق، ص٥٦.

في تركيب القرآن لم تعرفه العرب من طرائقها،ولم تأخذ به في مذاهبها، حتى نقول إنَّه قد جاءهم بما فوق طاقتهم اللغوية؟ فقلنا له: أمَّا أن القرآن الكريم لم يخرج في لغته عن سنن العرب في كلامهم إفراداً وتركيباً فذلك في جملته حق لا ريب فيه، وبذلك كان أدخل في الإعجاز وأوضح في قطع الأعذار﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ﴾ [فصلت: ٤٤]

بيد أنَّه ليس شيء من هذه المسالك بالذي يجمل في كل مواطن، وليس شيء منها بالذي يقبح في كل موطن إذاً لهان الأمر على طالبه، ولأصبحت البلاغة في لسان النَّاس طعماً واحداً، وفي سمعهم نغمةٍ واحدةٍ، كلا فإنَّ الطريق الواحد قد يبلغك مأمناً حيناً، ويقصِّر بك عن غايتك حيناً آخر) [١].

وقد أنكر علماء السلف والخلف القول بالصرفة، وأثبتوا أنَّ إعجاز القرآن في ذاته، وفي وجوه إعجازه التي لا حصر لها، ولم يثبت تأثرهم بهذا القول، وما ورد عن شيخ الإسلام ابن تيمية والرازي، خاص بجواز القول بالصرفة على جهة التنزل مع الخصم في المجادلة فحسب، مع الإنكار لها وإبطالها[٢].

ثانياً: منشأ قولهم:

وإذا أردنا أن نقف عند المصدر الذي نبعت منه هذه الفكرة في التراث العربي، فيمكننا القول بأنَّ في هذه المسألة رأيين مختلفين وهما:

الأول: يذهب إلى أنَّها فكرة مستقاة من التراث غير العربي، حيث يرى بعض الباحثين أنَّ هذه الفكرة مأخوذة من غير العرب، ذلك أنَّ هذه الفكرة ذات أصول في كلام الهند، ومصدرها أقوال بالبراهمة في كتابهم الفيدا، .... وهذا المنع يحتمل أن يكون تكليفياً، أي أنَّهم كلِّفوا بألا يأتوا بمثله، وبهذا لا يكون للمنع

---

(١) النبأ العظيم، محمد عبد الله دراز، ص١١٢-١١٣.

(٢) الجواب الصحيح، ابن تيمية، ج٥، ص٤٢٩.

مدخل في إعجاز الفيدا، كما يحتمل أن يكون المنع منعاً تمكينياً، بمعنى أن (براهما) صرفهم بمقتضى التكوين عن أن يأتوا بمثله(١).

الثاني: إنَّها فكرة عربية خالصة، ويرى أصحاب هذا الرأي، أنَّها ظهرت بفعل أوهام خاطئة حول وجه إعجاز القرآن الكريم اعتقدها القائلون بالصرفة، وهذا يعني أنَّ القائلين بهذا القول قد تبادر إلى ظنِّهم أنّ التحدي كائن في لفظ القرآن ومعناه معاً، وبما أنَّ القرآن الكريم قد تضمن من المعاني ما يخرج عن قدرة البشر، كأخبار الأولين والآخرين، والإخبار بالغيب وما حواه من التشريعات والتعاليم والقيم والمبادئ ، فلا يستطيع الإنسان بواقع جبلته وطبيعة تركيبه وعقله المحدود أن يعبِّر عنها بمثل بيان القرآن وبلاغته، ومن ثمَّ فهو ممنوع من ذلك بحكم عقله وعلمه المحدود عن الإتيان بمثل معاني القرآن، وبمثل جمال ألفاظه وأساليبه، أي أنَّهم مصروفون عن التعبير بمثل أسلوب القرآن الكريم بعدم تمكنهم منه مع معانيه، وهذا القول يشير إلى أن الفكرة كانت عربية النشأة، وقد دفع إليها هذا الوهم(٢).

كما لا يخفى ما لهذا القول من علاقة واضحة المعالم بأصول مذهب المعتزلة، هذا المذهب العقلي والقياسي التجريبي، فالمعتزلة هم أصحاب النزعة العقلية الفلسفية، ولقد كان النظام صاحب الفكرة مولعاً بعلم الفلسفة، حتى عُرف به، ووصف بأنَّه من الفلاسفة، وقد كانت الفلسفة من أدوات ووسائل الدفاع عن الإسلام ضد مطامع ومطاعن أعدائه في زمن النظام، ولذلك حرص على انتقائها والتعمق فيها، وقد تأثر بآراء أرسطو الفلسفية(٣).

---

(١) بحث القول بالصرفة، د.إبراهيم التركي، مجلة جامعة أم القرى للغات، العدد٢، ص١٥٧.

(٢) المصدر السابق، ص١٥٨.

(٣) القول بالصرفة، د. عبد الرحمن الشهري، ص٤٨.

المبحث الثاني: "خطورة القول بالصرفة وأوجه فساده":

المطلب الأول: خطورة القول بالصرفة:

إنَّ الجدل الذي ثار حول القول بالصرفة يؤكد الخطورة البالغة لهذا القول، وتتمثل هذه الخطورة أولاً في إنكار النظام ومعاصريه بديع القــرآن وإعجــازه وبيانه وإحكامه واتقانه، والتي هي سمة بارزة تدل على إعجاز القرآن الكــريم، وأكد النظام بهذا القول الفاسد أنّ بإمكان أيَّ فرد الإتيان بمثل القرآن الكريم في نظمه وأسلوبه، ولا شك أنَّه قول شنيع، وشططٌ فظيع، وخطر مريع، وقع فيــه النظام وأصحابه، كما شملت الخطورة ثانياً جانب الصرف، حيث يمكن تصنيف نظرية الصرفة إلى صرَفة ينكر أصحابها الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم مائلين إلى إعجاز القرآن الكريم بالغيب فقط وعلى رأس هؤلاء النظام، وصرَفه بجمع أصحابُها بين الإعجاز البلاغي والعجز العارض، وعلى رأسهم الجــاحظ، أمَّــا الخطورة الثالثة: فهي جانب الإخبار بالغيب، وهو ما صرف إليه النظام الإعجاز القرآني، حيث قال بإعجاز القرآن عبر إخباره بالمستقبل كــالتمكين للمــؤمنين، وغلبة الروم، وهنا يشير إلى أنواع الإعجاز الغيبي المتضــمنة للإعجــاز فــي الماضي، والحاضر والمستقبل، وقد ذكر النظام مع القــول بالصــرفة القــول بالإعجاز عن المغيبات، وذلك أنَّ هذه المغيبات الماضية والآتية، لا يطلع عليها بشر إلا بإعلام علام الغيوب فدلّ ذكرها في القرآن الكريم على أنَّ غير النبي لا يأتي بمثلها في كلامه، فكان القرآن الكريم بهذا معجزاً.

والخطورة هنا متمثلة في حصر وجوه الإعجاز في هذا الجانب فقط، ومن الضرورة بمكان، عدم حصر وجوه الإعجاز عليه فقــط، ولابــدَّ مــن تكامــل الاعتراف بجميع وجوه الإعجاز الأخرى، أمَّا حصره في هذا النوع، فإنَّه يجعل من القرآن الكريم كتاباً أشبه بكتب العرافين والمنجمين – أعاذنا الله من ذلــك – وهنا تكمن الخطورة العظيمة، وكذلك القول بأنَّ الإخبار بالغيوب وحــده منــاط

الإعجاز، يتعارض مع آيات التحدي في القرآن الكريم.

والذي يظهر – والله أعلم – أن النظام قد تبنى هذا القول للدفاع عن إعجاز القرآن الكريم الغيبي، وذلك أنه قد رمى بهذه المقولة في وجوه أهل الزيغ الذين كانوا يثيرون ما يقضي على حجة النبوة، ولم يشأ أن يجادلهم في أمر النظم، لأنّه يعلم أنَّ النزاع فيه لا يُدفع إلا عند من كان ذا طبع إذا نُبّه انتبه(١).

المطلب الثاني: أوجه فساد القول بالصرفة وبطلانه:

لقد انتشر مذهب القول بالصرفة في بيئة المعتزلة، ووجه احتجاجهم للصرفة: أنه إذا جاز عقلاً عدم تعذر المعارضة، ثمَّ عجز بلغاء العرب – فضلاً عن غيرهم – عن معارضته وانقطعوا دونه فذلك برهان على المعجزة، ولله الحمد من قبل ومن بعد كما تعودنا فلكل محنة منحة، فقد كان لظهور هذه الشبهة أثرٌ كبير في إثراء مكتبة الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم، حيث تصدى لهذه الشبهة عدد كبير من العلماء بالرد والتفنيد، وإثبات وجوه متعددة لإعجاز القرآن الكريم – والتي لا يمكن أن تحصر وجوه إعجازه – وأثبت هؤلاء العلماء إعجاز القرآن الكريم في ذاته، وليس بسبب الصرف والمنع، لأنَّ التسليم بهذا القول يقضي إلى نقض إجماع الأمة على إضافة الإعجاز للقرآن الكريم، كما قال الإمام القرطبي في جامع الأحكام(٢).

فكيف يكون معجزاً غيره وليس فيه صفة إعجاز، بل المعجز هو الله تعالى الذي سلبهم قدرتهم عن الإتيان بمثله،وأيضاً يلزم من القول بالصرفة فساد آخر، وهو زوال الإعجاز بزوال زمن التحدي، وخلو القرآن الكريم من الإعجاز وفي ذلك خرق لإجماع الأمة، فإنّهم أجمعوا على بقاء معجزة الرسول صلى الله

(١) الإعجاز البلاغي، محمد أبو موسى، ص٣٥٧.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج١، ص٧٥.

عليه وسلم وخلو القرآن من الإعجاز يُبطل كونه معجزة.

ويُمكنُ لنا أن نُجملَ أوجه فساد هذا القول وبطلانه في الآتي:

الأول: أنَّ القرآن الكريم تحدى الخصوم أن يأتوا بمثله واستثار حميتهم، وكرر التحدي والتصريح به ودعى إلى الإستعانة بكل ما يمكن الاستعانة به من إنس وجنٍ للإتيان بمثله، وهذا التحدي إنَّما هو دعوة إلى المعارضة، وإغراءتها، واستثارة إلى محاولة والدفع إلى محاولتها.

الثاني: أنَّهم لم يجدوا أنفسهم مصروفين عن المعارضة، بل قد حاولوا وجاءوا بما زعموا معارضاً، فافتضحوا وهكذا ثبت إعجاز القرآن الكريم، قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – : (وقد انتدب غير واحد لمعارضته، لكنه جاء بكلام فضح به نفسه، وظهر به تحقيق ما أخبر به القرآن الكريم من عجز الخلق عن الإتيان بمثله مثل قرآن مسيلمة الكذاب كقوله: يا ضفدع بنت ضفدعين، نظن كما تظنين، لا الماء تكدرين، ولا الشرب تمنعين، رأسك في الماء وذنبك في الطين) (١).

الثالث: لو كان الأمر على ما ذهبوا إليه، وكان الإعجاز بالصرفة حقاً، لكان الأقوى في الحجة، والأبين في الدلالة أن يجيء القرآن الكريم في أدنى درجات البلاغة، لأنَّ ذلك أبلغ في الأعجوبة،فإنَّ الذي يعجز عن كلام هو في مستوى كلام النَّاس أو أدنى منه، يكون ذلك دليلاً على أنَّ هناك قوة غلابة حالت بينه وبين المعارضة، ولم يكن هناك حاجة لمجيء القرآن في نظم بديع، ومستوى رفيع، لأن الأقرب إلى قوة الدليل ووضوح الحجة – حيث تكون الصرفة هي الوجه للإعجاز – أن يكون القرآن في مستوى كلامهم أو دونه،

---

(١) الجواب الصحيح، ابن تيمية، ج٤، ص٧٦-٧٧.

وأننا لو سلمنا أنَّ العرب المعاصرين للبعثة، قد صرفوا كما يزعمون، لم يكن من قبلهم من أهل الجاهلية مصروفين عمَّا كان يعدل به الفصاحة والبلاغة، وحسن النظم، وعجيب الوصف، فلمَّا لم يوجد في كلام من قبله مثله، علم أنَّ ما ادعاه القائل بالصرفة ظاهر البطلان.

الرابع: أنَّه يلزم على إدعائهم هذا، أن يكون العرب قد تراجعت حالها في البلاغة والبيان، وفي جودة النظم وشرف اللفظ، وإذا كان الأمر كذلك لزمهم أن يعرفوا ذلك من أنفسهم، ولو عرفوا لجاء عنهم ذكره، وبمثله قال العلوي عن الصرفة، فقال: والذي يدل على بطلانها براهين، البرهان الأول منها: أنَّه لو كان الأمر كما زعموه من أنَّهم صرفوا عن المعارضة مع تمكنهم منها، لوجب أن يعلموا ذلك من أنفسهم بالضرورة، وأن يميزوا منها، وأن يميزوا بين أوقات المتع والتخلية، ولو علموا ذلك لوجب أن يتذاكروا في حال هذا المعجز على جهة التعجب، ولو تذاكروا لظهر وانتشر على حدِّ التواتر، فلمّا لم يكن ذلك، دلَّ على بطلان مذاهبهم في الصرفة ثمَّ قال الجرجاني: ومنها: الأخبار التي جاءت عن العرب في شأن تعظيم القرآن، وفي وصفه بما وصفوه به من نحو: إنَّ له لحلاوة، وإنَّ عليه لطلاوة، وإنَّ أسفله لمغدق، وإن أعلاه لمثمر: فمحال أن يعظموه وأن يبهتوا عن سماعه، ويستكينوا له،وهم يرون فيما قالوا، وقاله الأولون ما يوازيه(١).

الخامس: وهو ما أورده ابن عطية رحمه الله بقوله: (ووجه إعجازه: أنَّ الله تعالى قد أحاط بكل شيء علماً، و؛أحاط بالكلام كله علماً، فإذا ترتبت اللفظة من القرآن، علم بإحاطته أي لفظة تصلحُ أن تلي الأولى، ويتبين المعنى بعد

(١) انظر: الرسالة الشافية، عبد القاهر الجرجاني، ص ١٤٩-١٥٠.

المعاني،ثمَّ كذلك من أول القرآن إلى آخره، والبشر معهم الجهل والنسيان والذهول، ومعلوم ضرورة أنَّ بشراً لم يكن قطاً محيطاً، فبهذا جاء نظم القرآن في الغاية القصوى من الفصاحة، وبهذا النظر يبطل قول من قال : (إنَّ العرب كان في قدرتها أن تأتي بمثل القرآن، فلمَّا جاء محمد – صلى الله عليه وسلم – صُرِفوا عن ذلك وعجزوا عنه) (١).

السادس: وهو ما أورده أبو حيان الأندلسي رحمه الله حيث قال: (اختلفوا فيما به إعجاز القرآن الكريم، فمن توغل في أساليب الفصاحة وأفانيها، وتوغل في معارف الآداب وقوانينها، أدرك بالوجدان أنَّ القرآن أتى في غاية من الفصاحة لا يوصل إليها، ونهاية من البلاغة لا يمكن أن يحام عليها، فمعارضته عنده غير ممكنة للبشر، ولا داخلة تحت القدر، ومن لم يدرك هذا المدرك، ولا سلك هذا المسلك، رأى أنّه من نمط الكلام المصروف عند العرب، وأنَّ مثله مقدور لنشء الخُطب، فإعجازه عنده، إنَّما هو بصرف الله تعالى إيَّاهم عن معارضته، ومناضلته، وإن كانوا قادرين على مماثلته، والقائلون بأنَّ الإعجاز كان بسبب الصرفة، هم من نقصان الفطرة الإنسانية في رتبة بعض النساء، حيث رأت زوجها يطأ جارية، فعاتبته، فأخبر أنَّه ما وطئها، فقالت له، إن كنت صادقاً فاقرأ شيئاً من القرآن الكريم، فأنشدها بيت شعر ذكر فيه الله، ورسوله، وكتابه، فصدقته، فلم ترزق من الفهم، ما تفرق به بين الخلق، وبين كلام الحق(٢).

السادس: لو كان الإعجاز في الصرفة لكانت هي المعجزة لا القرآن نفسه، ولكن تحداهم بأن ينصرفوا إلى معارضته، لا بالمعارضة نفسها قال

---

(١) المحرر الوجيز، ابن عطية، ج١، ص٧١-٧٢.

(٢) البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ج١، ص٨-٩.

الباقلاني: (ومما يبطل ما ذكروه من القول بالصرفة، أنّه لو كانت المعارضة ممكنة، وإنّما منع منها الصرفة، لم يكن الكلام معجزاً، فلا يتضمن الكلام فضيلة على غيره في نفسه) [١].

وفي هذا المعنى يقول الدكتور طه عابدين: (ويستلزم منه أنّ القرآن الكريم غير معجز في ذاته، وإنّما عجز القوم عن تأليف مثله لأنّ الله سلبهم قدرتهم وأفكارهم، فلا يتضمن كلام الله فضيلة في نفسه، وهذا الكلام مخالف لإجماع الأمة وما كان عليه السلف الصالح – رحمهم الله تعالى) [٢].

قال القرطبي: (إجماع الأمة قبل حدوث المخالف أنّ القرآن الكريم هو المعجز، فلو قلنا إن المنع والصرفة هو المعجز، لخرج القرآن عن أن يكون معجزاً، وذلك خلاف الإجماع ، وإذا كان ذلك كذلك عُلم أنّ القرآن الكريم هو المعجز، لأنّ فصاحته وبلاغته أمرٌ خارق للعادة، إذ لم يوجد كلام قط على هذا الوجه) [٣].

والنظام نفسه ما قال بالصرفة إلا تبريراً لإنكاره الإعجاز البلاغي، حيث أنّ القرآن عنده ليس بمعجز في بلاغته وفصاحته، كما وضحنا ذلك سابقاً، ولمّا لم يأت أحدٌ بمثله في بلاغته وفصاحته، فقد اضطر اضطراراً إلى القول بأن الله صرف الناس عن ذلك، ولأجله فلا حاجة لمن أقرَّ بالإعجاز البلاغي للقول بالصرفة أصلاً، وبما أن مذهب المعتزلة، مذهبٌ عقليٌ في استدلالاته، ومتأثر إلى حد كبير بالفلاسفة جاء هذا القول، والملاحظ أنّه يمكن إبطال هذا القول بالعقل نفسه، حيث لا يعقل البتة سلب هذه النعمة التي أنعم الله بها على الناس

(١) إعجاز القرآن، الباقلاني، ص٥٤.

(٢) المنتقى في علوم القرآن، د.طه عابدين، ج٢، ص٣٠٣.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج١، ص٧٥.

كافة – وهي من أعلى النعم وأجلها – لا يعقل أن تسلب وتمنع من أجل أن لا يتمكنوا من أجل معارضة القرآن الكريم،ولو حدث ذلك لأصبحوا بلا عقول، وتصرفوا تصرفات طائشة في كل أمور حياتهم الأخرى، وهذه التصرفات تدل على أنّه لا عقول لهم، وهي مسلوبة عنهم، بأمر خارج عن إرادتهم، ولكن هذا لم يلحظ عليهم، فهم في حدة من الفطنة، والذكاء، وقوة الحجة والبيان، ممّا يؤكد بقاء عقولهم وأفكارهم.

الوجه السابع: وهو الذي ورد في سنة النبي – صلى الله عليه وسلم – ويدل دلالة قاطعة على أنّ إعجاز القرآن ذاتي، وهو أكبر دليل على بطلان القول بالصرفة وفساده، والذي فيه أشار النبي – صلى الله عليه وسلم – إلى أنّ إعجاز القرآن ثابت، وفيه دليل على نبوته، ورسالته، وصدقه، وأنّه من عند الله عز وجل، الذي قد أيدّه بهذه المعجزة العظيمة الباهرة، والظاهرة، والساطعة، حيث روي الشيخان بسنديهما من حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – أن رسول الله– صلى الله عليه وسلم – قد أعطاه الله تعالى من الآيات ما يكون هادياً ودليلاً على الإيمان بنبوته، وذلك لا يكون آية للنبي المرسل إلا إذا البشر غير قادرين على أن يأتوا بمثلها وإلا لم يكن فيها ما يحملهم على الإيمان بمن جاء بها، فالبيان النبوي سماها آية وإعجازاً، كما في الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم : (ما من نبي من الأنبياء إلا وقد أعطي من الآيات ما مثله آمن البشر، وإنّما الذي أوتيت وحياً، أوحى الله إليَّ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة) (١).

فكل آية بينة يأتي بها النبّي صلى الله عليه وسلم تكون برهاناً على صدقه

(١) البخاري، كتاب فضائل القرآن، حديث رقم ٤٥٩٨، ورواه مسلم كتاب الإيمان، حديث رقم ٢١٧، واللفظ لمسلم.

في البلاغ عن ربه تعالى وتؤكد في قلب كل عاقل أنَّها خارجة عن مقدور غير الأنبياء وأنَّه لن يأتي بها إلا نبي بإذن ربه تعالى، وسواءٌ في هذا أن تأتي مقرونة بالتحدي، أو لم تقترن به، وكذلك المطالبة لهم بأن يأتوا بمثلها، لما تتسم به من عظيم ظهور غرابتها، ظهوراً يقيم في كل نفس، يقين الإحساس بالضعف عن الإتيان بمثلها، بل الضعف عن محاولة ذلك، بل الضعف عن إرادة تلك المحاولة، وكأنَّ النفس تقع حين ذلك في الدهش، والحير والانقطاع، وذلك شأن آيات الأنبياء، لا سيما القرآن الكريم.

ولتميز معجزة النبي صلى الله عليه وسلم عن كل المعجزات السابقة للأنبياء قبله، قال فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة، خاصة وقد جمع الله له بين المعجزات الحسية والمعنوية، ولكن أفضل معجزاته وأكملها، وأجلها، وأعظمها القرآن الكريم، الذي نزل عليه بأفصح اللغات، وأصحها، وأبلغها وأوضحها، وأثبتها وأمتنها، بعد أن لم يكن كاتباً ولا شاعراً، ولا قارئاً ولا عارفاً بطريق الكتابة(١).

لذلك كانت العرب حين تُخلى بين القرآن الكريم ونفوسها، تؤوب إلى شيء من الرشد، كالذي بدر من عتبة بن ربيعة، حين بُعث إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقرأ عليه آيات من سورة السجدة فأبلس، وما كان من شأن الوليد بن المغيرة وقال في القرآن مقولته المشهورة، إنَّ له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وما كان من شأن عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين سمع سورة طه من أخته فاطمة وزوجها، فأخلى بين نفسه وآيات الله عز وجل فأسلم، والكافرون يعلمون من قرارة أنفسهم هذه الحقيقة، فيحرصون أشد الحرص ألا يخلوا بينهم وبين القرآن الكريم.

---

(١) المنتقى في علوم القرآن، د. طه عابدين، ج٢، ص٢٩٨.

المبحث الثالث: "فساد القول بالصرفة من خلال القرآن الكريم":

"دراسة المواضع والآيات التي تدل على فساد القول بالصرفة في القرآن الكريم":

أولاً: آيات التحدي في القرآن الكريم:

والمعلوم أنَّ تحدي القرآن للعرب في عدم مقدرتهم بأن يأتوا بمثل هذا القرآن، كان الهدف منه، أنْ يُظهر الله تعالى العجز الفاضح للخلق جميعاً، وفي مقدمتهم العرب، وبهذا العجز يثبت إعجاز القرآن الكريم في نفسه، وقد تحدى القرآن الكريم العرب في مستويات مختلفة تدل على أنّه تحدي حقيقي، وليس صوري، فبدأ أولاً بأن يأتوا بمثله إلى أن يأتوا بسورة من مثله، وجاءت مراحل التحدي في أربعة مستويات مختلفة جاءت كما يلي:

المستوى الأول: أن يأتوا بمثله وذلك في قوله تعالى:﴿ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴾ (الطور:٣٣ – ٣٤)

وقوله تعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ (الإسراء:٨٨)

المستوى الثاني: أن يأتوا بعشر سورٍ مثله، قال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ (هود: ١٣).

المستوى الثالث: أن يأتوا بسورة واحدةٍ مثله، قال تعالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ (يونس:٣٨).

المستوى الرابع: أن يأتوا بسورة واحدة من مثله، قال تعالى:﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ (البقرة:٢٣).

والفرق بين "بسورة مثله" وبسورة "من مثله"،أنَّ المثلية تعني تمام المطابقة، أمَّا "من مثله"، فتقتضي مطابقة جزئية في أحد وجوه تفوق سورة القرآن فصاحة، وبلاغة، وإيجازاً، ونظماً، إلى آخر وجوه الحسن في سوره، فتحداهم القرآن في آية البقرة، وهي آية التحدي الأخيرة أن يأتوا بمثلية ناقصة في مطابقتها، ولا شيء دون هذا التحدي(١).

فهو يطالبهم بما يشابهها، ويطلب منهم أن يستعينوا بمن يشاءون من دون الله، ويؤكد عجزهم الحاضر والمستقبل(٢).

فآيات التحدي في القرآن الكريم، تدل على عدم قدرتهم مع بقاء هذه القدرة والرغبة الجامحة للمعارضة، ولو سلبوا القدرة لم يبق لهذا التحدي فائدة، لاجتماعهم لمنزلته منزلة اجتماع الموتى، وليس عجز الموتى ممّا يُحتفل بذكره، وبهذا يتأكد بأن العرب إنَّما عجزوا لعدم استطاعتهم وقدرتهم، مع وجود ملكاتهم وقدراتهم، وذلك لأنَّ القرآن العظيم – وإن جاء بالمعهود لهم – إلا أنَّه جاء بفصاحةٍ عالية، ومعان سامية، وأحكام شاملة ووجوه إعجاز ظاهرة، ليس بمقدور البشر أن يأتوا بمثلها قال ابن عطية رحمه الله تعالى: (الذي عليه الجمهور والحذاق، وهو الصحيح في نفسه أن التحدي إنَّما وقع بنظمه، وصحة معانيه، وتوالي فصاحة ألفاظه، ووجوه إعجازه أنَّ الله تعالى قد أحاط بكل شيء علماً، وأحاط بالكلام كله علماً، فإذا ترتبت اللفظة من القرآن، عَلِم بإحاطته أي لفظة تصلحُ أن تلي الأولى، وتبين المعنى بعد المعنى، ثم كذلك من أول القرآن إلى آخره، والبشر معهم الجهل والنسيان والذهول، وبهذا جاء نظم القرآن الكريم في الغاية القصوى من الفصاحة، وبهذا يُبطل قول من قال إن العرب كان من

(١) انظر: البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ج١، ص١٠٥.
(٢) المنتقى في علوم القرآن، د. طه عابدين، ج٢، ص٢٩١.

قدرتها أن تأتي بمثل القرآن، فلما جاء محمد صلى الله عليه وسلم صُرفوا عن ذلك وعجزوا عنه، والصحيح أن الإتيان بمثل القرآن، لم يكن قط في قدرة أحد من المخلوقين) [١].

وأكثر ما يبطل القول بالصرفة من خلال آيات التحدي، تأكيدُ القرآن الكريم بعدم قدرتهم، ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً، ويتأكد ذلك في هذا التصريح الواضح بقوله تعالى: ﴿ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (هود:١٤)

ولأهمية هذه الآية ودلالتها الصريحة بعدم الاستجابة من العرب – لأنَّ القرآن أنزل بعلم الله – ولأهميتها في إظهار فساد القول بالصرفة، نذكرُ ما ذكره بعض المفسرين في تأكيد هذا الإبطال، فقال أبو حيان: (فإن لم يستجب من تدعونه إلى المعارضة فأذعنوا حينئذٍ، واعلموا أنَّه من عند الله عزَّ وجل، وأنَّه أنزل ملتبساً بما لا يعلمه إلاَّ الله، من نظم معجز للخلق، وإخبار بغيوب لا سبيل لهم إليها، وأعلموا عند ذلك أنَّه لا إله إلا هو، وأنَّ توحيده واجب، فهل أنتم مسلمون؟ أي تابعون للإسلام بعد ظهور هذه الحجة القاطعة، وداوموا على العلم، وازدادوا يقيناً، وثبات قدم أنَّه من عند الله عز وجل) [٢].

وقال البيضاوي: (أي فإن لم يستجيبوا لكم إلى المظاهرة لعجزهم، وقد عرفتم من أنفسكم القصور عن المعارضة، فاعلموا أنَّه نظم لا يعلمه إلا الله، وأنَّه منزل من عنده، وأنَّ ما دعاكم له من التوحيد حق، فهل أنتم داخلون في الإسلام بعد قيام الحجة القاطعة، وفي مثل هذا الاستفهام إيجاب بليغ لما فيه من

(١) المحرر الوجيز، ابن عطية، ج١، ص٥٢.
(٢) البحر المحيط، أبو حيان، ج٦، ص٣٨٠.

معنى الطلب، والتنبيه على قيام الموجب، وزوال العذر) (١).

وجاء في تفسير اللباب: (واختلفوا في الوجه الذي كان القرآن لأجله معجزاً، فقيل: الفصاحة، والبلاغة وقيل الأسلوب وقيل: عدم التناقض وقيل: اشتماله على الإخبار عن الغيوب، والمختار عند الأكثرين أنَّ القرآن الكريم معجز من جهة الفصاحة......، ثمَّ إنَّه لمَّا قرر وجه التحدي قال: (وادعوا من استطعتم) واستعينوا بما استطعتم، فإن لم يستجيبوا لكم فاعلموا أنّه تنزيله) (٢).

وقال الشيخ السعدي في تفسيره: (وفيها أنَّ هذا القرآن معجز بنفسه لا يقدر أحدٌ من البشر أن يأتي بمثله، ولا بعشر سور من مثله، بل ولا بسورة من مثله، لأنَّ الأعداء الفصحاء تحداهم الله بذلك فلم يعارضوه، لعلمهم أنّهم لا قدرة فيهم على ذلك) (٣). والقرآن الكريم تحداهم لأول مرة، وأخبر مع تحديه لهم بعجزهم عن الإتيان بمثله، وما ذاك إلا لأنّه تنزيل من حكيم حميد.

وهكذا اتفقت أقوال المفسرين على أنَّ هذه الآية تدل على أنَّ إعجاز القرآن الكريم في ذاته، وتحمل بين طياتها رداً صريحاً على من قال بالصرفة، لأنَّ التحدي لا يكون في شيء يمنعه الإنسان بعد القدرة عليه.

وفي الآية وجه آخر مفاده أنَّ الأمر في الآية يتطلب الاجتهاد والتكلف، وسبيله الاحتشاد والتأهب، والصرفة تخالف هذا المعنى، فدلّ على أن المراد غيرها، والقول بذلك خروج بالكلام عن معانيه، وإنَّما يقال فيمن كان يقدر على الشيء، ثم عاد لا يقدر عليه، وبهذا يتبين بطلان القول بالصرفة من خلال هذه الآية بصفة خاصة، ومن خلال آيات التحدي عموماً.

---

(١) أنوار التنزيل، البيضاوي، ج٣، ص٧٢.

(٢) تفسير اللباب، ابن عادل، ج٩، ص٧٣.

(٣) تفسير كريم الرحمن، السعدي، ج١، ص٣٧٨.

وما زالت عجلة الزمن تدور وتطوى القرون قرناً فقرناً، ومسافة العجز تتطول وتتسع وتتشعب، ولم يكن عجزهم بسبب انحراف الألسنة، وشيوع اللحن، واختلاط الأنساب فحسب، بل زادهم أن وجوه الإعجاز تتجدد وتتولد، فما أن ينبزغ وجه من وجوه الإعجاز ويشرق، حتى يظهر نجم إعجاز جديد، معلناً أنَّ التحدي في القرآن ليس لعصر دون عصر، ولا أمّة دون أمّة، ولا يزال هذا دأب القرآن في التحدي، حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

ثانياً: تسمية القرآن بأوصاف تدل على إعجازه الذاتي:

كذلك من الأدلة الواضحة والتي تدل على أنَّ القرآن معجز بذاته، الأوصاف التي وصف الله بها كتابه المبين، من كونه آية من آيات الله وبرهان، وبيّنه، وغيرها من الأوصاف التي تدل على إعجاز القرآن الكريم، ومن ذلك:

١ – البرهان: قال تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُم بُرۡهَٰنٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورٗا مُّبِينٗا ﴾ (النساء:١٧٤).

قال الزمخشري: (البرهان، والنور المبين: القرآن الكريم، أو أراد بالبرهان دين الحق، أو رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبالنور المبين ما يبينه ويصدقه من الكتاب المعجز) (١).

والزمخشري من أنصار مذهب المعتزلة، إلا أنَّه خالف النظام في القول بالصرفة، ورغم ما يؤخذ على الزمخشري من مخالفات لأهل السنة والجماعة في مسائل العقيدة، والتي أراد الزمخشري أن ينتصر لهم في كشافه، إلاّ أنَّني أرى أنَّه خدم مسألة إعجاز القرآن، بإظهاره للجانب البلاغي في تفسير الكشاف، فقد ألبس تفسيره ثوباً قشيباً في جانب اللغة،والبلاغة،وقد وفق الله عدداً من الباحثين لكشف ما فيه من اعتزال ومخالفات صريحة والحمد لله على ذلك،

(١) الكشاف، الزمخشري، ج١،ص٤٩٥.

وصاحب الكشاف في الآية السابقة يؤكد إعجاز القرآن الكريم في نفسه وفي ذاته، ولم يتأثر فيها بمذهب المعتزلة الذي يؤيده.

وفي الآية السابقة يقول الألوسي في تفسيرها: (النور المبين هو القرآن الكريم،واحتمال إرادة الكتب السابقة الدالة على نبوته صلى الله عليه وسلم، وإذا كان المراد من البرهان القرآني أيضاً، فقد سلك به مسلك العطف المبني على تغاير الطرفين، تنزيلاً للمغايرة العنوانية، منزلة المغايرة الذاتية، وإطلاق البرهان عليه لأنَّه أقوى دليل على صدق من جاء به، وإطلاق النور المبين لأنَّه بيّن بنفسه، وكونه من الله تعالى بإعجازه غير محتاج إلى غيره، مبين لغيره من حقية الحق، وبطلان الباطل، مهدي للخلق، بإخراجهم من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان .... وإسناد إنزاله إليه تعالى بطرق الالتفات لكمال تشريفه) [(١)].

ومن الأوصاف التي تدل على ذلك أيضاً، قوله تعالى: ﴿قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ﴾ (الأنعام: ١٠٤).

وكذلك وصف الله تعالى للقرآن بأوصاف ذاتية تدل على إعجازه، مثل قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ژ (العنكبوت:٥٠)

وهذه الأوصاف للقرآن الكريم، تجعله في منزلة لا تصل إليها المعجزات الأخرى، وقد بين الله تعالى في الآية السابقة، أنَّ وجود القرآن بينهم يُتلى عليهم، كافياً، ومغنياً عن كل معجزة مادية أخرى.

(١) روح المعاني، الألوسي، ج٤، ص٣٥١.

فالقول بالصرفة يسلب هذه الصفات الذاتية عن القرآن الكريم، ويجعل الإعجاز في المنع الذي حال بينهم وبين الإتيان بمثله.

وأخيراً من أوصاف القرآن الذاتية،والتي تجعله في منزلة عليا لا تصل إليها المعجزات الأخرى، قوله سبحانه في سور الواقعة:﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَٰبٍ مَّكۡنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ .

ثالثاً: الآيات التي تدل على المحاولات اليائسة والبائسة":

قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيۡفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيۡفَ قَدَّرَ﴾ .

لقد توفرت الدواعي والأهداف لمعارضة القرآن الكريم من قبل الكافرين، فالعرب من الكفار كانوا أشد حرصاً على معارضته، وإثبات أنَّهم قادرون على أن يأتوا بمثله، خصوصاً والقرآن الكريم، يستثير حميتهم، ويعلن تحديه لهم، وقد بدأت هذه المحاولات منذ وقت مبكر، ومنذ نزول الوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن الأمثلة التي تدل على محاولاتهم ما نزل في شأن الوليد بن المغيرة، وأنه قد وصل إلى مرحلة التفكير ثم التقدير، وأخيراً التعبير، وأعلن في نهاية المطاف، فشله الذريع، وأعطى رسالة مفادها أن كل من يحاول سيشرب من نفس الكأس الذي شرب منه، لأن هذا القرآن لا يشبه كلام البشر، وهو أعلى من ملكاتهم، وقدراتهم، وقد أورد الإمام الألوسي في تفسيره ما وصف به الوليد بن المغيرة كتاب الله تعالى فقال: (وماذا أقول فوالله ما فيكم رجل أعلم بالشعر مني، لا بزجره ولا بقصده، ولا بأشعار الجن، والله ما يشبه الذي يقول شيئاً من هذا، ووالله إن لقول الذي يقوله حلاوة وإن عليه لطلاوة، وإنه لمثمر أعلاه،

مغدق أسفله وإنه ليعلوا لا يُعلى، وإنَّه ليحطم ما تحته)[١].

وقد حدثت محاولات أخرى مخجلة أبرزها محاولة مسيلمة الكذاب، وقد كثرت في زماننا هذا المعارضات للقرآن الكريم، ولاسيما في المواقع الالكترونية في الشبكة العنكبوتية، ولا شك أنَّها محاولات يائسة، وبائسة، وهزيلة ومخجلة، وحالهم كقول القائل[٢]:

كناطح صخرة يوماً ليوهنها ** فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل

وهذه المحاولات قديماً، وحديثاً ترد القول بالصرفة، إذ لو صرفوا لما وجدت مثل تلك المحاولات أصلاً، وإن كان القول الذي جاء به مسيلمة الكذاب وأمثاله لم يدَّع فيه المعارضة، وإنَّما كان الإدعاء أنَّه يأتيه الوحي، كما كان يأتي النبي صلى الله عليه وسلم، دون التحدي بما جاء به وأنَّه في منزلة القرآن من حيث الفصاحة والبلاغة، ولذلك كان ذلك الادعاء مدعاة للسخرية، والاستهزاء من العرب أنفسهم.

قال الدكتور مصطفى الرافعي: (وقد زعم مسيلمة أن له قرآناً نزل عليه من السماء ويأتيه به ملك يسمى رحمن ... بيد أنَّ قرآنه، إنَّما كان فصولاً وجملاً، بعضها ممَّا يترسل به في أمر إن عُرض له، وحادثة إن اتفقت، ورأى إذا سئل فيه، وكلها ضروب من الحماقة يعارض بها أوزان القرآن في تراكيبه، ويجنح في أكثرها إلى سجع الكهان، لأنَّه كان بحسب النبوة ضرباً من الكهانة، فيسجع ما يسجعون، وقد مضى العرب على أن يسمعوا للكهان ويطيعوا، ووقر ذلك في أنفسهم، واستناموا إليه، ولم يجدوا كلام الكهان إلا سجعاً) [٣].

---

(١) روح المعاني، الألوسي، ج٢١، ص٤١٤.

(٢) الشعراء، الفارسي، ج١، ص٥٥١.

(٣) إعجاز القرآن، مصطفى الرافعي، ص١٢١.

رابعاً: قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا قَالُوا۟ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ ۙ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ (الأنفال: ٣١)

قال البيضاوي في تفسير هذه الآية الكريمة: (وهذا القول، هو قول النضر بن الحارث، وإسناده إلى الجميع، إسناد ما فعله رئيس القوم إليهم، فإنّه كان قاصهم، أو قول الذين ائتمروا في أمره عليه الصلاة والسلام، وهذا غاية مكابرتهم، وفرط عنادهم، إذ لو استطاعوا ذلك فما منعهم أن يشاؤوا، وقد تحداهم وقرعهم بالعجز عشر سنين، ثم قارعهم بالسيف فلم يعارضوا سورة مع أنفتهم وفرط استنكافهم، أن يغلبوا خصوصاً في باب البيان) (١).

وقد أشار الإمام الألوسي إلى ذلك أيضاً في تفسيره، وأوضح أنّهم كانوا يتمنون أن يأتوا بمثل هذا القرآن، ولكنّهم عجزوا تمام العجز، وذلك لعدم قدرتهم، لا لشيء آخر، حيث قال: (وأيّاً ما كان، فهو غاية المكابرة، ونهاية العناد، إذ لو استطاعوا شيئاً من ذلك فما منعهم من المشيئة؟ وقد تحداهم عليه الصلاة والسلام، وقرعهم بالعجز عشر سنين، ثم قارعهم بالسيف فلم يعارضوا بما سواه من أنفتهم واستنكافهم أن يغلبوا، لا سيما في ميدان البيان، فإنّهم كانوا فرسانه المالكين لأزمته الحائزين قصب السبق به، وزعم بعضهم أنّ هذا القول، كان منهم قبل أن ينقطع طمعهم عن القدرة على الإتيان بمثله) (٢).

وقولهم لو نشآء لقلنا مثل هذا إيهام بأنهم ترفّعوا عن معارضته، وأنهم لو شاءوا لنقلوا من أساطير الأولين إلى العربية ما يوازي قصص القرآن ، وهذه وقاحة، وإلا فما منعهم أن يشاءوا، لو كان بإمكانهم معارضة من تحداهم وقرعهم بالعجز، مع تحيزهم، وتآمرهم في إيجاد معذرة يعتذرون بها عن القرآن الكريم، وإعجازه إياهم، وتحديه لهم(٣).

---

(١) أنوار التنزيل، البيضاوي، ج٢، ص٣٨٤.

(٢) روح المعاني، ج٧، ص٦٧.

(٣) انظر: تفسير التحرير والتنوير، ابن عاشور، ح٦، ص١٣٢.

وإن كان في إمكانهم معارضته بمثله، وهم يمنّون أنفسهم بذلك، ولم يفعلوا ذلك، مع شدة عداوتهم له، كان ذلك دليلاً على أنّه من عند الله عز وجل.

خامساً: استفتاح بعض السور بالحروف المقطعة:

الحروف المقطعة في القرآن الكريم تتكون من أربعة عشر حرفاً، جمعت في أربعة عشر صيغة، ورد كل منها مرة واحدة إلا أربعة منها هي: "الم"، وقد تكررت ست مرات،و "الر"، وقد تكررت خمس مرات، و"طسم"، وقد تكررت مرتين، و "حم"، وتكررت بمفردها ست مرات، وتكررت مرة سابعة في الصيغة الخماسية (حم، عسق).

وبذلك يكون مجموع الصيغ المكررة تسع عشرة، ومجموع الصيغ غير المكررة عشر صيغ، وتضم هذه الفواتح الهجائية، أسماء نصف حروف الهجاء. والاستفتاح بهذه الحروف، من أسرار القرآن الكريم، والتي توقف بعض العلماء عن الخوض في معناها، باعتبارها من المتشابه الذي استأثر الله بعلمه، ورأى عدد آخر من أهل العلم ضرورة الاجتهاد في تفسيرها، وفهم دلالاتها، وأشاروا إلى عدة معان، يأتي في مقدمتها التنبيه على إعجاز القرآن الكريم، الذي صيغ من جنس تلك الحروف الهجائية التي يتكلم بها العرب، ويعجزون عن الإتيان بشيء من مثله. ولا شك أن هذه الحروف تدل على معنى، لأن الأصل في الخطاب الإفهام، والأصل في الكلام المعنى دون اللفظ، واتفق تماماً مع العلماء الذين ذكروا أنها إشارة لإعجاز القرآن الكريم، وأنّه مؤسسٌ من جنس الحروف التي يتكلمون بها، ويتخاطبون بها، ويتكاتبون بها، وإلى هذا ذهب جمع من المفسرين، حيث أشار له الإمام الرازي في تفسيره[1] وحكاه الإمام القرطبي عن

---

(١) انظر التفسير الكبير، الفخر الرازي، ج ١ ، ص ٢٧٠.

الفراء وقطرب[(١)]، وقرره الزمخشري في كشافه ونصره أتمَّ نصر[(٢)]، ووجه القول به أنَّ السور التي افتتحت بالحروف المقطعة، يذكر فيها دائماً عقب الحروف المقطعة الانتصار للقرآن الكريم، وبيان إعجازه دليل على أنَّ الحروف المقطعة قُصِد بها إظهار إعجاز القرآن، وأنَّه حق[(٣)].

والإشارة لإعجاز القرآن الكريم بهذا الاستفتاح، وما فيه من حُسن استهلا، رد قوي على القائلين بالصرفة، حيث تثبت تلك الحروف أنَّ إعجاز القرآن الكريم، في لغته وفصاحته، وبيانه، وهو الذي اتفق عليه العلماء أنَّ القرآن الكريم معجز بذاته، لما تضمَّنه من وجوه إعجاز، يصعُب حصرها، وتحديدُها في وجوه معينة.

وبحمد الله وتوفيقه كانت هذه الإضاءة في الرد على القول بالصرفة وبيان أوجه فساده المختلفة، ومن أبرز نتائج الدراسة:

١) القرآن الكريم هو الحجة العظيمة التي أظهرها الله سبحانه وتعالى، على يد نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، وتحدَّى الناس أن يأتوا بمثله، وتحداهم مرة أخرى بأن يأتوا بعشر سور مثله، وتحداهم ثالثة أن يأتوا بسورة مثله، وتحداهم رابعة بأن يأتوا بحديث مثله، وما استطاعوا، ولن يستطيعوا، وما ذاك إلا لأنَّه تنزيل من حكيم حميد، وبعجزهم هذا ثبت إعجاز القرآن الكريم في نفسه، وأبطلت الأقوال الشاذة الأخرى، مثل القول بالصرفة.

٢) البحث في إعجاز القرآن الكريم من الأمور المهمة بمكان، وهو أهم ما يجب على الباحثين كشفه، وأولى ما يلزمهم بحثه، لأنَّه لأصل دينهم قواماً،

---

(١) انظر الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج ١، ص١٥٥.

(٢) الكشاف، الزمخشري، ج ١، ص١٥ بتصرف..

(٣) أضواء البيان، الشنقيطي، ج٢، ص١٧٦-١٧٧ بتصرف.

ولقاعدة توحيدهم عماداً ونظاماً، وعلى صدق نبيهم برهاناً ولمعجزته حجة وثبتاً.

٣) المقصود بالصرفة: (أن الله صرف همم العرب عن معارضة القرآن، وكان في مقدورهم، لكن عاقبهم عنها أمر خارجي، ولو لم يصرفهم لجاءوا بمثله، ـــ كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولوا إلا كذبا – وهذا القول الفاسد هو قول بعض علماء المعتزلة كالنظام والشريف المرتضى وغيرهم.

٤) من الوجوه التي تدل على فساد القول بالصرفة، أنَّه لو كان الإعجاز من الصرفة لكانت هي المعجزة لا القرآن نفسه، فلا يتضمن كتاب الله فضيلة على غيره في نفسه، وهذا القول مخالف لإجماع الأمة، وما كان عليه السلف الصالح رضوان الله عليهم.

٥) القول بالصرفة رغم فساده الواضح، إلا أنه جاء بمحمدةٍ مهمة فقد انبرى علماء الأمة خلفاً عن سلف في الدفاع عن إعجاز القرآن، وإبطال هذا القول بالأدلة القاطعة والبراهين الساطعة، وأوضحوا خلله، وفساده، وعجره وبجره، وشذوذه، وهذا بلا شك أوجد حراكاً علمياً ينصب في بيان عظمة كتاب الله تعالى.

٦) القرآن الكريم حكم بنفسه بالحكم المؤبد على هذا القول، وأجهز عليه تماماً، وذلك من خلال آيات التحدي، والتي أعلن من خلالها ومن أول مرة بعدم قدرتهم وعدم استجابتهم، لأنَّ القرآن نزل به الروح الأمين على قلب النبي صلى الله عليه وسلم بلسان عربي مبين.

٧) أوجه فساد القول بالصرفة في القرآن الكريم كثيرة ومتنوعة ومن أهمها آيات التحدي .

المراجع والمصادر:

١- القرآن الكريم.

٢- إعجاز القرآن، الباقلاني، تحقيق أبو بكر عبد الرزاق، مكتبة مصر.

٣ - لسان العرب، ابن منظور، دار المعارف، القاهرة.

٤ - مقاييس اللغة، ابن فارس، دار الجيل، الطبعة الأولى، ت١٤١١هـ.

٥ - العين، الخليل بن أحمد، دار الشؤون الثقافية، العراق.

٦ - تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ط.دار الفكر، بيروت، ١٤٠١هـ.

٧ - الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، مكتبة مصطفى الباز، مكة، ط١، ١٤١٧هـ.

٨ - بيان إعجاز القرآن، الخطابي، دار المعارف بمصر، ط.٤.

٩ - الموقع عن جهة إعجاز القرآن، الشريف المرتضى، مؤسسة الطبع والنشر، ط١، ١٤٢٤هـ.

١٠ - النبأ العظيم، محمد عبد الله دراز، دار طيبة، ط٣، ١٤٢١هـ.

١١ - القول بالصرفة في إعجاز القرآن، عبد الرحمن الشهري، دار ابن الجوزي، ط١، ١٤٣٢هـ.

١٢ - الجواب الصحيح،ابن تيمية، دار العاصمة للنشر،الرياض، ط١، ١٤١٤هـ.

١٣ - مجلة جامعة أم القرى للغات، العدد٢، رجب ١٤٣٠هـ.

١٤ - الإعجاز البلاغي، محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، مصر، ط١، ١٤٠٥هـ.

١٥ - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ط.دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٣هـ.

١٦ - الرسالة الشافية، عبد القاهر الجرجاني، دار المعارف، مصر،ط٢، ١٤١٠هـ.

١٧ – المحرر الوجيز، ابن عطية الأندلسي، طبعة وزارة الأوقاف القطرية.

١٨ – البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ط.دار الفكر، بيروت، ١٤١٢هـ.

١٩ – أنوار التزيل، البيضاوي.

٢٠ – روح المعاني، الألوسي، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٨هـ.

٢١ – مفاتيح الغيب، الفخر الرازي، ط. دار الكلتب العلمية،بيروت، ط١، ١٤٢١هـ.

٢٢ – التحرير والتنوير، ابن عاشور، الدار التونسية للنشر، ١٩٧٣م.

٢٣ – تفسير كريم الرحمن من كلام المنان، السعدي، ط: مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢١هـ.

٢٤ – المنتقى في علوم القرآن، طه عابدين، دار الأندلس، حائل، ط١، ١٤٢٩هـ.

٢٥ – صحيح البخاري، الإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل، دار القلم، بيروت، ط ١٩٧٨م.

٢٦ – صحيح البخاري، الإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج، إحياء التراث، بيروت، ١٩٧٢م.

٢٧ – تفسير اللباب، ابن عادل الحنبلي.

٢٨ – الكشاف، الزمخشري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ١٤٠٧هـ.

٢٩ – إعجاز القرآن، مصطفى الرافعي، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٢٧هـ.

٣٠ – أضواء البيان، الشنقيطي، ط دار الفكر للطباعة، بيروت، ١٤١٥هـ.